مع

نصوص العزاوي

عن

الحرب والسلم

بقلم الاستاذ ابو عبد الرحمن بن عقيل الظاهري

قال أبو عبدالرحمن : من المباحث اليتيمة ـ رغم كثرة الباحثين والدارسين فى هذا العصر ـ تسجيل الدراسات التاريخية التى تتجاوز نطاق الأحداث (أعنى الوقائع والحروب) فى جزيرة العرب خلال عصور العامية .

ولعل زهد المعاصرين فى مثل هذه المباحث بسبب زهدهم فى مصادرها وهى المأثور العامي والرواية الشفهية .

والواقع أنه يجب أن ينشط الدارسون لمثل هذه المباحث ، لأن مصدرية المأثور العامي حالة اضطرار لا اختيار ، ولأن الرواية الشفهية مصدر استفاضة لاخبر آحاد ، ولأن مكتبتنا فقيرة الى مثل هذه المباحث وان كان اخواننا الأردنيون مهدوا السبيل فى هذا المجال .

وقد اخترت نصا نفيسا للعزاوى عن عادات الحرب والسلم أحب أن أتبعه ببعض التعليقات اليسيرة التى لا تقلل من قيمته .

○ نص العزاوي ○

قال عباس العزاوى رحمه الله :

أصل الغزو تابع للأخذ بالثأر وهو شغل البدوى الشاغل بل هو أكبر مشغلة له ، وأعظم من موارد رزقه . لايقف عند العداء ، وقد يكون سببه .

وأكثر آدابهم المنقولة ووقائعهم المعروفة إنما تتعلق بذكرياته . قال الأول(١) :

ولو أن قوما غزونى غزوتهم   فهل أنا فى ذا ياlهمدان ظالم
متى تصحب القلب الذكى وصارما   وأنفا حميا تجتنبك المظالم

وهناك حالات أخرى تدعو للغزو كعداء فجائى ، وتجاوز آنى ، أو أن يكون على قوم ليس بينهم عهد ، أو على الكلأ والمراعى ، أو الآبار .

والأساس أن تعتبر الحالة حربية بين القبائل ، والغزو دائب .

وأسباب العداء كثيرة ، وفى الغالب تحترم العهود والوقائع السابقة ، أو تكون العامل فى إثارة البغضاء ، والقصص التى ينقلونها لا تكاد تحصى ، والقصائد المهمة كثيرة .

ومن البواعث عندهم مالا علاقة له بأحد المتخاصمين كأن يقوم بالحرب والغزو إرضاء لزوجته التى تنفر ممن لا تشيع أخباره فى الشجاعة والكرم كما ينقل عن أحد رؤساء بنى لام الذى كانت له زوجة(٢) وتوفى عنها فتزوجها أخوه ، وكان يضارعه فى رسومه وأشكاله ، إلا أنه بعيد عن الحروب والغزو على خلاف ماكان عليه زوجها الأول ، فلم يرق لها الزوج الجديد ، وقالت قصيدة منها :

الزول زوله والحلايا حلاياه   والفعل ماهو فعل ضافى الخصائل(٣)

تريد أنه كزوجها الأول فى شكله وحلاياه ولكنه لم يكن ضافى الخصائل مثله . علم الخبر ، واطلع على مكنون سرها ، ومن ثم هاجت همته ، وزاد حنقه ، وعد ذلك

إهانة منها له ، فعزم أن يظهر بما ترضاه ، ويقوم بما كانت تأمل فذهب للغزو وصار الى محل ابعد ، فغنم غنائم وافرة ، وقام بأعمال جليلة بغرض ان تكون له مكانة مرغوبة عندها ، ويعمر ماقامت به من اهانة . !

عاد من غزوته ظافرا ، فاستقبلته بقصيدة مدحته بها ليرضى عنها ، ففتر غيظه ، وزال غضبه ، وعفا عنها ، وعرفت له منزلته ، وذهبت منها الفكرة الأولى !(٤)

والبدوى لايغزو قريبة ، أو يسرقه إلا أن يكون قد حصل عداء بين الفرق او القبائل التى بينها قربى ، وكذا لايسوغ له أن يمد يده على الجار أو الحليف ، والغزو انما يكون على العدو أو من جوز القوم نهب أمواله ، أو اعتباره محاربا .

وإذا قبل هذا الأساس نجد الاتفاقات تجرى بين الأفراد ، أو العشائر أو أصحاب الغزو للوقيعة بالعدو ، والحرب معه ، أو بقصد الحصول على غنائم .

وهذه الاتفاقات قد تعود بالويل والخيبة ، (ألف تعبة على البدوى بلاش !!) ، أو يكون العكس بأن يغنم الهاجم ، ويربح الغازى ، ومن ثم يقابل بالفرح والابتهاج ويرحب به الترحيب الزائد .

إن الصلح والحرب من أعظم المسائل الاجتماعية عند البدو ، ولهم حلول قد تخفى على الكثيرين ، أو أن ادراكها بعيد عمن لم يكن ملتفتا الى حقيقة ماعندهم .

واذا اردنا ان نتوغل فى هذه الناحية وجب علينا ان ننظرها كحالات دولية ، أو مناسبات سياسية تابعة لحقوق واسعة النطاق ، وبعيدة الغور فى دقتها وأصلها ولكن بصورة مصغرة .

وهذه الحقوق متعامل عليها ، ومعروفة من قديم الزمان ، ومضى القوم عليها وإن لم تدون ، او تسجل فى شريعة ، او قانون .

والاسلام فى اوائل ظهوره دوّن بعض الوقائع المخالفة ، وسجل العلماء الشائع ، وهكذا استمر ، بل ان بالاسلام تأسست الحقوق الصحيحة ، والوقائع المتعارفة ، وقد قبل مايصلح

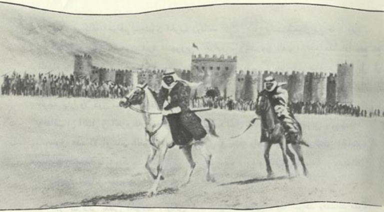

أن يكون تشريعا عاما ، ولم توافق الشريعة الغراء على الحرب والغزو بلا سبب صحيح ، او اعتداء ظاهر .

وفى سعة هذه العلاقات وكثرة وقائعها لا نستغنى عنها اليوم لمعرفة الحقوق القديمة عندنا ، وبخاصة فى جزيرة العرب ، وفيها مالم ينتبه الى صور حله ، وطريق حسمه ولا يقلل من قيمة هذه الحقوق انها غير مكتوبة ، ولكننا نقول ان العربى احفظ لعهوده وأقرب لسياسته الحقة والصريحة ، لاينكث عهده الا ان يرى من مقابله مايدل على العداء او التحرش او الاجحاف . وهذا لايقع دوما ، وانما هو قليل جدا .

وفى الوقت نفسه ترى البدوى يتأثر فلا ينسى ماأصابه من حيف ، أو ناله من ظلم . ولهم أشعار كثيرة فى الثأر والترة ، مدونة فى غالب كتب الأدب مثل ديوان الحماسة لأبى تمام ، وللبحترى وسائر الكتب الأدبية .

وهذه حالتهم حتى اليوم ، وعندهم المحالف ، أو الجار لا تنتهك حقوقه بوجه وانما هو محل رعاية ، وكذا النزيل فان رعايته اكبر واحترامه ازيد .

وهم فى كافة احوالهم يتجنبون الحرب ووقائعه المؤلمة بكل مايستطيعون من قدرة وقوة ، وعقلاء القوم دائما يكبحون شرة المتهورين الجامحين ، ويحذرون الفتن ، ومع هذا اذا وقع العداء وتمكن لاتكون الحرب حاسمة ، يتفقون مع المجاورين ، ومن لهم صلة قربى ، بل يجرى الغزو بين آونة وأخرى ، وينتهب الواحد ما تصل اليه يده ، وفى الغالب لايهاجمون على الوجه نهارا ولا دون مبالاة ، وانما ياتون على حين غرة وبنتيجة حساب للأمر وافتكار فيه ، والغالب ان القتل فى الغزو غير مقصود ، وانما المقصود المال وقد يكتفون بالتهويل ، وهكذا .!

وفى هذه الأيام مات الغزو تقريبا ، والفضل فى منعه راجع الى وسائط النقل الحاضرة وسهولة استخدامها ، وتكاتف الحكومات المجاورة لقطع دابره ، وتفوق الأسلحة والعدد التى لا تستطيع القبائل مقاومتها كالمدرعات والرشاشات .

مر بنا ذكر بعض الحوادث ، ولكن هذه كثيرة لا تحصى ، ولها شواهد وقصائد مقولة ومحفوظة ليست بالقليلة ، وهذه فى العراق غالبا ، ولا يعوزنا تدوينها الا ان الصعوبة كل الصعوبة فى معرفة تاريخ حدوثها ، ولا تعد الوقائع مدونة فيما بين نفس قبائل شمر بعضها مع بعض ، او بين عنزة ، أو ما يقوم بها بعض هذه القبائل نحو الأخرى ومنها يتكون سمر القوم وحديث مجالسهم .

ومحفوظ كل قبيلة لا يعتبر عاما و ان كان يلهج به القوم ويتناقلونه ، الا انه لاتعطى له أهمية عظيمة ، ولا تكاد تعد وقائع مثل هذه ، وما يتحدث به القوم من حوادث شجاعة وما يتغنى به القوم .

وللصائح ولزوبع وللسبعة ولغيرها وقائع كثيرة وقد يكون فيها من الغرابة مالا يوجد فى الوقائع المهمة بين القبائل العظيمة وانى اشير الى بعض الحوادث التى نالت شهرة وصارت حديث المجالس .

حصة هذه بنت الحميدى وأخت عبدالمحسن جد الشيخ محروت ، وهذه شاع فيها المثل (لعيون حصة ماتمصه) وتفصيل الواقعة أن قوم ابن هذال من عنزة أصابتهم سنة فامحلت

ارضهم فاقتضى ان يعبروا الى الجزيرة ، وكان يسكنها قبائل شمر ، وكان الذى عبر هو الحميدى بن هذال ، وعبرت عنزة معه ، وهذه لا تفكر الا فى قبائل شمر وتعدها عدوها ، أو ضدها .

ومن مألوف البدو أن يبعثوا ركبا يدعون الضديد (الضد) الى المسالمة ويطلبون أن يقضوا سنتهم ، والى مثل هذه يميل الضعيف ويطلب مايطلب من المهادنة .

ولكن القوى لايمنعه مانع ، ولا يركن الى هذا النوع بل يعده ذلا ، واعترافا بالضعف وعنزة لم ترضخ(٥) لشمر فى وقت ، ولم تبد اذعانا ، او ما ماثل وان كانت الحروب بينهم سجالا ، اذا غلبت قبيلة مرة استعادت قوتها واخذت بحيفها مرة اخرى . !

عبروا ولم يبالوا ، ومضوا لسبيلهم واما شمر فقد اتخذت هذه فرصة سانحة عرضت ، ومن ثم تناولوا والكل متأهب لقتال صاحبه ، وطال المناخ لمدة شهرين ولم تكن النتيجة لصالح عنزة وانما انتصرت شمر انتصارا باهرا .

وفى هذه الوقعة كانت حصة بنت الحميدى بين من أسر واستولوا عليه من نساء عنزة ، والعادة ان لايتعرض القوم للنساء ولا يمسهن أحد بسوء، ولكن هذه المرة رأت حصة اهانة من بعض افراد شمر عرف انها بنت الحميدى فتطاول عليها وطعنها ، ومن ثم صاحت حصة (الدريعى يارجالى) .!

وصل خبر هذه الصيحة الى الدريعى ، وكان من رؤساء عنزة المعروفين آنئذ وعادت عنزة فى هذه الحرب مخذولة .

أما الدريعى فانه لم ينم على هذه الندبة من حصة وامر قبائله فى سورية ان تتأهب للحرب المقبلة ، وأن من كان عنده فرس ذبح مهرها لئلا تذهب قوتها من الرضاع .

تأهبوا لأخذ الثأر ونفروا للحرب ، وصاروا يخاطبون امهارهم بقولهم : (لعيون حصة ماتمصه) اى ان اخذ ثأر حصة دعا أن حرمناك من الرضاع من ثدى امك .

والبدوى متأهب بطبعه للغزو ، ولكن الاهتمام فى هذه الواقعة زاد ، والتأهب والعناية بلغا حدهما .

ومن نتائج هذه أن تحالف الهذال والشعلان على ان يصدقوا الحرب ، وأن يكون المتقدم للحرب الهذال بقبائلهم ، وطلبوا الى الشعلان ان ينهبوا ويقتلوا من يتخلف عن الحرب من قبائل الهذال ، وشاع امر ذلك ، ليكون القوم على يقين من القتل والنهب فيما اذا لم يتفادوا ويحاربوا عدوهم ، وهو قوى مثلهم ، ولا يقعقع له بالشنان .

وفى هذه الحرب فى السنة التالية لتلك الواقعة طال المناخ ثلاثة أشهر ، ولم يظهر الغالب (والحمل وزان) كما يقول المثل وكان يقتل بعض الفرسان من الطرفين وضاق الأمر بآل هذال من عنزة ، وكادوا يفشلون فى هذه الحرب لولا أن علم آل الشعلان بأن التناوخ دام وطال وعلموا أن سرح شمر كان يجرى على مرادهم ولم يكن عليه خطر بخلاف ابل عنزة فانها لا تستطيع ان تخرج فتسرح وتمرح ، فعلم آل الشعلان أن الأمر ضاق بآل هذال ، ونفروا بعضهم لمناصرة عشائر الهذال وانقاذهم مما اصابهم من ورطة .

ومن ثم مضوا اليهم ، وأرسلوا من يخبرهم بالقصة ، وأعلموا بأنهم فى يوم كذا سوف يهاجمون السرح لقبائل شمر ، ويضعضعون اوضاعهم ، ويهاجمهم آل هذال من أمامهم تأمينا للانتصار ففعلوا .

وفى هذه المرة ، وبهذه الطريقة تمكنوا من شمر ، وانتصروا عليهم . وفى هذه أظهر ابن جندل من رؤساء الجلاس تدبيره فى لزوم المساعدة السريعة ، مضوا اليهم بلاظعون ولا أثقال ، واختاروا من يعولون عليه ، وتمكنوا بسرعة من اللحاق والانتصار ، بل وأخذ الانتقام بطعن بنت الجرباء بالصورة التى رأتها حصة !

وفى هذه نشاهد التدابير الحربية ، وطرق الغزو للوقيعة ، والشجاعة ، وحسن الادارة وما مائل مما يتخلل الوقعية ، وقد يصعب بيان قيمة بعض الأشخاص وما قاموا به ، أو زاولوه من أعمال .

ويتكون من هذه مجموع سمر قد يغنى عن مطالعة الكتب ، وانما هو التحدث بالمجد وأشخاص الوقائع لا يزالون فى قيد الحياة ، او يحدث عنهم أبناؤهم وتظهر مفاخرهم وهناك القصائد ، وذكر المخاطر ، والسمر اللذيذ .

نرى البدوى يهول فى مواطن الهول ، ويظهر المهارة والقدرة فى مواطنها ، والعزة القومية وصفحات بيانه تكتسب اوضاعها ، ويكاد المرء يشعر ان الوقعة امامه ويشاهد مخاطرها !

وعلى كل حال أن العداء والمنازلة والانتصارات والمغلوبيات كل هذه تجرى مع الأسف لما يفيد اذلال بعضنا لبعض والافتخار فى التغلب عليه ، وتهييج العداء الكامن .

والوجهه أن تزيح هذه الأوضاع ونستخدمها لصالح الأمة وعزتها القومية ، وأبهتها بين الشعوب ، وفخرها على غيرها ، ويعز علينا أن نجد صناديدنا وشجعاننا يذهبون ضحية وقائع أمثال هذه ، ونخرب بيوتنا بايدينا .!

ولو كانت نشوة الانتصارات هذه على عدو حقيقة ممن لم يكن من قومنا لشكل فخرا كبيرا ، أما هذا فهو فى الحقيقة ضياع لأكابر الرجال ، وكل واحد من هؤلاء يصلح أن يكون قائدا لجيش عرمرم .

وملحوظتنا أن هذه الوقعة كانت بين شمر وعنزة ، ولم تكن للحكومة علاقة بها مما دعا أن لم تدون ، واعتقد انها وقعة يوم بصالة ، وتاليتها يوم سبيخة .

وكل حوادث البدو متقاربة ، وتلخص بغزو بعضها بعضا ، والمهارة المعروفة وقدرة القواد تبز بأوضاعها واحوالها الكثير من وقائع التاريخ مما لايسع المقام تفصيله .

والطرف المقابل الذى قد هوجم يتهالك فى الدفاع ، ويستميت عند ماله وحريمه ، ويناضل نضال الأبطال ، وهناك يشتهر بالشجاعة من يشتهر ، وكم صدوا العدو واعادوه على أعقابه خائبا ، او مغلوبا بصورة فاحشة خصوصا اذا علم القوم وأخبرهم (السبر) بنوايا عدوهم أو بتوجهه الغزو الى ناحيتهم .

وما أصدق قول المتنبى على الكثير من قبائل البدو :

ولو غير الأمير غزا كلابا   ثناه عن شموسهم ضباب
ولاقى دون ثأيهم طعانا   يلاقى عنده الذئب الغراب
وخيلا تغتدى ربح الموامى   ويكفيها من الماء السراب

ويتحاشى البدو كثيرا من الحرب عند الظعون . أو الهجوم على العدو عند البيوت وفى هذه الحالة تكون له (غوارات) وهى الخيول التى تهاجم . و (ملزمة) وهم الذين يكمنون ويحفظون خط الرجعة ولذا يقول المثل (غوارات وملزمة) .

والعمارية بنت يعد لها قتب فيه (هودج) . ويقال له (العطفة) . وهو حصار يزين لها بأنواع الزينة . والبنت فى الغالب تكون من أعز بنات القبيلة بنت الشيخ او العقيد ومن جميلات البنات الأبكار وفيها همة ونشاط تحث القوم وتحرضهم على القتال . واذا رأت منهزما عنفته وطلبت اليه ان يعود لنصرة أخوانه وأن لا تذل النساء بيد الأعداء .

و (العادة) . أو (العودة) الى القتال كثيرا ما تؤدى الى انتصار المغلوبين بسبب مايبدونه من استماتة . وشمر أهل العادة ولهم الشهرة فيها .

وهذه البنت تفرع (تكشف رأسها) وتتدلع وتنخى القوم وتشوقهم على القتال . وتكون من العارفات برجال الحى وأوصافهم المقبولة . ومزايا كل تمدح فى مواطن المدح . وتحض على الحرب .!

ولما أن ترى رجوعا فى الرجال . وغلبة طرأت . او كسرة عرضت تستحثهم على العودة . فلا يطيقون الصبر على لانكتها وعتابها او تقريعها . تشجع وتعيد المنهزم . تستعيده فيستميت القوم فى القتال .!

وكثيرا ما يناضل الأبطال عنها وهى تقصد العدو . وتتقدم اليه لتكون الحرب أشد وأقوى .!

وبسبب هذا التشجيع والتثريب لمن ترى منه ضعفا يعود القوم الكرة ، ولهذا نرى بنى لام يسمونها (العيادة) باعتبار أنها تدعوهم الى العودة وتعتلى بيتا او محلا بارزا وتصرخ بهم قائلة :

العودة! العودة ، العادة !

عليهم ! عليهم !

وعلى كل حال تعرف بـ (العمارية) ايضا ، تسوق ناقتها الى الأمام بامل ان ينقذوها وان يتقدموا نحو اعدائهم ، ويتفادوا فى سبيل خلاصها .!

ومثل هذه تكون صاحبة جنان قوى لا تهاب الموت ، وكثيرا ما تصاب قبل كل أحد ، ويقصدها العدو خشية أن تشجع القوم ، وتجعلهم فى حالة استماتة وتفاد عظيم فى الدفاع .!

وهذه عادة قديمة فى البدو ، ولم تكن من عوائد هذه الأيام ، ولا دخيلة فى العرب ، وانما هى موجودة من زمن الجاهلية :

يقـدن جيادنـا ويقلن لستم بعولتنـا اذا لم تمنعونا

وغاية ما ينتفع من هذه العمارية او العماريات حينما يشعر القوم بضعف ، او قلة فى العدد وخور فى العزائم فيركن النساء الى مايشجع ويقوى العزائم .

والأمم لا تزال تستخدم انواع الاساليب لاثارة الهمم ، وتقوية العزم ، وتوليد العقيدة الراسخة كاستعمال خطابات واذاعة نشرات ، وركون الى تهييج عداء سابق وتذكير به ، ونظم أشعار حماسية ، والا فالقوة والعدد الكاملة ليس فيها مايكفل النجاح ، وانما يجب ان تقوى الروح فى التفادى والتهالك فى سبيل الدفاع الوطنى .

وهذه الحالة النفسية لا يجرد منها البدوى كما لايجرد المدنى !! .

والنزاع لايقتصر على الكلأ والمراعى ، ولا لسوء معاملة من المجـاور ، ولا من جراء انتهاك حرمة دخيل ، فقد يكون من جرائم قتل ، أو من تعرض لعفاف مما لايحصى .

والغزو من أشهر أسباب حروبهم .

والعمارية تتخذ لها (عطفة) كما مر وهو هودج خاص ، ويعمل من خشب ، ويغطى بريش النعام ، وله شكل معروف عندهم . والآن ليس له وجود فى القبائل الا عند ابن شعلان .

والمعتاد عند القبائل ان من تذهب عطفته فى حرب كأن استولى عليه العدو لا يستطيع ان يأخذ عطفة غيرها . ذلك مادعا ان تنعدم من جميع البدو . ولا تستعاد الا ان تكون القبيلة اخذت عطفة عدوها وغنمتها . فيحق لها ان تتخذ عطفة جديدة .

وقد انعدمت العطفة من اكثر القبائل بل كلها . فاعتاضوا بـ (العمارية) فى سائر القبائل ماعدا الشعلان .

وتعد العمارية من أكبر الوسائل لاستنهاض الهمم . وتقويتها بعد الفتور والضعف وخور العزم .

وهوادج النساء غير العطفة :

١ ـ الحصار .
٢ ـ ظلة .
٣ ـ كن . وهو نوع هودج ، أو هو مرادف له ، ويسميه الزراع (باصور) .

وفى المثل البدوى (من طول الغيبات جاب الغنائم) فاذا تم الحرب او الغزو بالربح والغنيمة فكيف تقسم الغنائم وتوزع بين الغانمين ؟ .

يكون هذا تابعا لما اتفق عليه القوم أو جروا عليه . والرئيس . أو العقيد اذا كان شجاعا وبصيرا بأمر الحروب أخذ المرباع المعروف قديما . أو حسب مااتفق عليه مع الذين غزوا معه .

وهؤلاء لايشترط أن يكونوا من فخذ واحد ، او من قبيلة ، بل قد يتجمع اليه اناس

مختلفون لايجمع بينهم الا قرابة بعيدة ، او مجاورة ، وقرابة قريبة ، والكل على الغريب والبعيد الذى ليس بينهم وبينه عهد .. وهكذا ، ولكن فى حالة العداء والمنافرة بين قبيلة وأخرى ، او قبائل مع معاديتها كانت الجموع تابعة للقدرة ، وقد مر بنا ماتعتبره عنزة وتسمى كل ألف او ماقاربه (جمعا) وأن له قائده ، أو زعيمه .

والغنائم تابعة فى قسمتها لأحكام عديدة ، ومختلفة تبعا للمقاولات ، أو المعتاد فى أمثالها والكل تابعون للعقيد المسمى (منوخا) وهذا العقيد من حين سلموا اليه القيادة صار يتحكم بنفوسهم وأرواحهم فهو مطاع ، بل مفترض الطاعة لايعصى له قول ، وهو الذى عناه شاعرهم :

وقلدوا أمركم لله دركم   عبل الذراع بأمر الحرب مضطلعا

نعم إن أمره حاسم ، لايقبل ترددا ، وهو فى الوقت نفسه يشاور أصحابه الذين يجد فى آرائهم فائدة فيمضى دون تردد ، ويقطع فيما يرون القطع فيه .

وغالب المنازعات والأثرة نراها تظهر عند تقسيم الغنائم ، والاختلافات تؤدى الى مراجعة العارفة ، والحلول قطعية اذا كانت من (منهى) أو تقبل اعادة النظر اذا كانت صحيحة وطريقها معتاد ، والعارفة فى أمثال هذه ربحة وافرة ، وغنيمته انما تكون وافرة عند حدوث النزاع على الغنيمة .. وهكذا .

والغنائم فى الغزو غيرها فى الحروب الحاسمة كما مر فى قصة (حصة) .

وهذه نوضح فيها بعض المصطلحات ثم نصير الى طريق قسمتها :

١ ـ جماعات الغزو : وهذه متفاوتة جدا بالنظر لمقدار الغزاة وهم :

أ) ـ الركب : ويقال للعشرين فما دون .

ب) ـ الجمعة : جيش على ذلل وهم مئة الى الفين .

جـ) ـ السرية مثل الركب الا ان اصحابها فوارس يركبون الخيل دون الابل .

د)ـ **اللواء ويقال له (البيرق) وهذا للرؤساء يقودون الألوف .**

هـ)ـ **الراكضة** : وهي في مقام الجمعة من الخيالة من مائة الى الفين .

ويسمى بالجمع ماكان (ألفا) أو نحوه . وفي المثل (يامحورب حورب) (٦) قال : (تلاقت الجموع) .

٢ ـ **العقيد** : ويسمى المنوخ اذا كان عقيد الجمعة . وهذا يتولى قيادة الجمع أو اقسامه المذكورة اعلاه . ونصيبه متفاوت على ماسيجيء .

٣ ـ **الحشر** : وذلك بان يتفق الغزو على أن تكون الغنائم لجميع الغزاة . ولقسمتها قواعد تابعة لنوع الغزو وماهية الغنائم .

٤ ـ **كل مغيرة وفالها** : ومن هذه يتفق الغزاة على أن تكون الغنيمة لغانمها ولا يشاركهم فيها أحد إلا أن نصيب المنوخ أو العقيد محفوظ ومعترف به .

٥ ـ **العقادة ونصيب الغانمين** : وهذه تابعة لنوع الأغراض التي غزا القوم من أجلها وشروط العقد الجاري . وغالب ماهنالك ان نصيب العقيد مختلف . ففي (الركب) يأخذ العقيد النصف اذا كان الكسب من (المرحول) . أو يكون نصيبه (المرحول) وحده اذا كانت الغنائم مختلطة .

وعادة الركب في الغالب أن تكون الغنائم بينهم (خشرا) ولا يدخل الحشر ما استولى عليه الغازي بصورة (القلاعة) وهي أن يجندل محاربة ويستولي على فرسه وهذه تسمى (قلاعة) .

ومن يتناول الغنائم قبل كل احد فيربح نصيبا وتكون له « طلاعة » وهي ناقة أو ناقتان الى ثلاثة وتسمى (حواية) .

وسرية الخيل لا تختلف عن الراكب في حكم الغنائم .

وغالب الجمعة ان تتفق على ان تكون (كل مغيرة وفالها) أى أن يكون الكسب لمكتسبه ، وفى هذه يأخذ العقيد الخزيزة وتسمى ناقة الشداد ويختارها من كل الغنيمة ، ثم يأخذ العوايد وهى مايسمى بـ (ابقع ظهر) ويقال له المرحول ويراعى الطيب مع من يوده فيبره ببعض العطايا أو يمنح من ظهرت له قدرة ومهارة ، والباقى فى حالة الخشر يوزع بين الغانمين .

فى البيرك (البيرق) أو (اللواء) يأخذ الشيخ وهو العقيد مايختاره مما يسر من أمامه ويسمونه (مسريا) ، ولا يأخذ من المعروفين من العشيرة ممن هم لزمته (أقاربه الأدنون) ، وكذا لايأخذ من الفارس الطيب وهو الذى يتفادى فى حروبه ولا من المحترمين ، وبعض الأحيان لايأخذ الرئيس الا أنه اذا اخذ يوزع القسم الأكبر منه .

وعلى كل حال لقسمة الغنائم طرق متبعة ، والاختلاف فيها كبير ، ومن جراء هذا يرجعون إلى العوارف .

وقد يرجع الى الغزاة الغانمين بعض من نهبت امواله ، ويطلب منهم ان يعيدوا له قسما منها فيقول (الحذية) ويقال له (ابشر بالعطية) .

وهذا يرى أنه سوف لايتمكن ان يعيش بعد أن ذهب كل ماعنده ، يلتمس ويطلب أن يعطوه ، ولم يكن من المحتم أن يبذلوا له ، فقد يمنعونه ويحرمونه ، الا ان العطاء يدل على نبل وكرم فى النفس ، والمنع يدل على لؤم وخسة فى الطبع ولا يقع فى الأغلب وقد تكون نفس من نهبت امواله ابية لاترضى ان يطلب العون والمساعدة من عدوه ، واذا كانت الغضاضة قوية وفيها قتل وايلام فلا يعطى طالب العقلة .

والمنع نادر جدا ، والعقلة هى المال الذى يعطى للمنهوب منه ويسمى (حذية) .

والحذية أيضا ما يمنح به المتخلف عن الغزو لسبب ، أو يكون الطالب فقيرا ، وفيه من الضعف مالم يستطع به أن يقدر على الغزو فتكون له شرهة على اقاربه الغانمين .

وكل مانقوله فى العقلة او الحذية ان البدوى كبير النفس ، نراه يعفو فى أشد ساعات الحرج ، وفى اوقات الربح يمنح ، ويعد عندهم العفو عند المقدرة من كريم الخصال ونرى القوم يفتخرون دائما بما عفوا به ، أو منحوه لطالب العقلة ، وكأن طالب العقلة يريد مايتقوت به كما ان العقلة واسطة نجاة الحياة .

اشتهر كثيرون بالشجاعة والحروب ، ويطول بنا ذكر من اشتهر ، أوكل ماقيل فيه شعر لما برز من شجاعة ، وأبدى من تفادى .

ومما قيل فى عبد المحسن والد عقيل آل هذال :

يامزنة غرا تمطٍر شمال   ترمى على روس المعادى جلاميد(٧)
زبيديها يافهيد روس الرجال   وعشبه قرون متيهين الا واليد
يتلون ابو عقيل ماضى الافعال   ماص الحديد اللى يقص البواليد

ومما قيل فيه فى وقعة عبد الكريم قالها شارع ابن أخيه :

ياعم ياسقى القبايل هدب شيح   ياحامى الوندات يوم الزحام
حيف الفرس تركض على القاع وتميح   ياعاد مايقعد صغاها اللجام
حيف الفرايش تنهزع للمفاتيح   ليا صار مايركى عليها الابهام

وهذا عبدالله بن تركى من آل سعود يخاطب آخر ويفتخر بحروبه ويلوم صاحبه قال :

وش عاد لو لبسك حرير تجره   وانت مملوك لحمر العتارى(٨)
من الزاد غاد لك سنام وسره   من الذل شبعان من العز عارى
يوم ان كل من خويه تبره   انالى الاجرب خوى مبارى
نعم الصديق ولو سطا ثم جره   يدعى مناعير النشامى حبارى
من طول المسرى سرى واستسره   ويمدح مصابيح السرى كل سارى

وقال محمد من الصقور :

يامزنة غرا من الوسم مبذار   برق جذبنى من بعيد رفيفه
قطعاننا مايقبلن دمنه الدار   يرعن صحاصيح الفياض النظيفه
وترعى بها قطعاننا غر وجهار   وتربع بها العر النشاش الضعيفه
يبنى عليها بنية اللبن بجدار   وعقب الضعف راحت ردوم منيفه
ترعى من البكرى الى خشم سنجار   ومغيزل يروى حدود الرهيفه[٩]
وحنه نرى هذا لك الله لنا كار   وعن جارنا ماعاد نخفى الطريفه
واحد على جاره بخترى ونوار   واحد على جاره صفاة محيفه
وخطو الولد مثل النداوى لياطار   وصيده جليل ولا يصيد الضعيفه
وخطو الولد مثل البليهى ليا ثار   وزود على حمله نقل حمل اليفه
وخطو الولد ينبش على موته النار   وعود على صفر تضبه كتيفه
والجار لابد مقفى عن الجار   وكل على جاره يعد الوصيفه
نرقى خماله رفية العش بالغار   وندعى له النفس القوية ضعيفه

وهم عند الغلبة قد يلجأون الى مايسمى بـ (المنع) وهذا يعنى ان المنهزم أو المنهزمين قد يجدون أنفسهم فى خطر فيكونون فى (منع) أحد وجهاء الغانمين ويتمكن هذا من إعطاء حق المنع لواحد فأكثر الى مائة ، ويدفع عنهم القتل الا انه تباح له خاصة اموالهم ولا يستطيع أن يتعرض لهم أحد بمجرد أنهم دخلوا فى منعه . وفى بعض الأحوال لاتقبل الدخالة ، ولايجرى (المنع) اذا كان بين المتحاربين ترات ووقائع مؤلمة أدت الى قاعدة (الطريح لا يطيح) فيقتل كل من استولوا عليه . وهذا يجرى حكمه فى الحقوق المتقابلة وانتهاء حرمتها بين المتقاتلين .

و (المنع) فى الغزو غير (الوجه) المعروف بين القبائل .

○ التعليق على نص العزاوي ○

(١) هو عمرو بن براقة الهمداني . ابن عقيل .

(٢) قال أبو عبدالرحمن : هي زوجة الشيخ وديد بن عروج وله عقب بالعراق وانظر عنه السفر الأول من كتابي ديوان الشعر العامي ص ٧٠ (حاشية) وأنساب العشائر العربية في النجف ص ٣٦ ـ ٤٥ ومن آدابنا الشعبية ٧٤/٢ ـ ٧٧ ابن عقيل .

(٣) القصيدة رواها الشيخ منديل كامل عن الشاعر غانم بن علي الجنفاوي الشمري وهذا نصها :

يااللـه ياعايد على كل مضهاه   يامخضر الأرض الهشيم المحايل
أنت الكريم ورحمتك مانسيناه   تروف باللى دوم عينه تخايل
تلطف بمن لكن عينه مداواة   اللى بقلبه حاميات الملايل
الوج مثل ايوب من عظم بلواه   واسهر الى مايصبح النجم زايل
على حبيب كل ماقلت ابا انساه   لذكره تفطنى من الهجن حايل
إلى نسيته ذكرتنى بطرياه   شيبا ظهر من عاصيات الجلايل
يلتاع قلبى كل ما اذكر سواياه   كما يلوع الطير شبك الحبايل
لوا حبيبى سبعة سنين فرقاه   عليه انا قصيت كل الجدايل
لوا حبيبى يتلف الهجن ممشاه   الى بغى له نية مايسايل
لوا حبيبى يسقى الربع من ماه   دليلهن لا ضيعوه الدلايل
لوا حبيبى يرعب الهجن بغناه   من كثر مايوحيه ليل وقوايل
لوا حبيبى كل قوم تنصاه   تلقى ربوعه طيبين القبايل
لوا حبيبى تدفق السمن يمناه   ياما ذبح من بين كبش وحايل
لوا حبيبى وافيات سجاياه   عليه غظات الصبايا غلايل

لوا حبيبى دوم للعفن متقاة   ياما كلنه مد مجات الفتايل
لوا حبيبى بين ذولا وذولاه   خلى بوجه معدلين الدبايل
لوا حبيبى طاح يوم الملاقاة   بنحور غلبا فوق قب السلايل
لوا حبيبى طير شلوى تعشاه   قطاعة المهجة سناعيس حايل
ياعارفين اوديد ياطول هجراه   ياليتنى بوديد مابغى بدايل
اخذت اخوه أبى العوض ذاك من ذاه   والبيت واحد من كبار الحمايل
عندى مثيله واحد كنه اياه   عليه من توصيف خلى مثايل
الزول زوله والحلاياه حلاياه   والفعل ماهو فعل واف الخصايل
ابن عقيل

(٤) القصدة الثانية التى أشار اليها العزاوى هى قولها كما رواه الشيخ منديل :

يابكرتى وش علم حالك ضعيف   أشوف حيلك وانى عقب الاردام
عقب الفسق ومهادرك بالمصيف   ومصاول القعدان مرباعك العام
عقب الا باهر والسنام المنيف   صوتى كما المفرود من فعل لزام
قطع عليك ديار قوم تخيف   تسعين ليلة راكب الهجن مانام
اقفى عليك من الحسا للقطيف   لحوران والحرة الى نقرة الشام
وتدمر وصلها وخمها مستخيف   وشبيح والضاحك وقديم الاقدام
واخذ عليك اذواد جو مريف   وضح كما برق الحبارى بالاكوام
يزفها يقداه مشيه هريف   واقفى عليهن متلف الهجن لا قام
وعادوا على العارض ركيب يهيف   يتلون ابن عروج مقدم بنى لام
زهابهم حب القرايا النظيف   وسلاحهم صنع الفرنجى والاروام

ياما انقطع مع ساقته من عسيف   ومن فاطر مشيه عن الجيش قدام
عقب الشحم وملافخه للرديف   قامت تسندر مثل مبخوص الاقدام
توى هنيت وطاب بالى وكيفى   من عقب ضميمى صرت فى خير وانعام

وروى الشيخ منديل أن لزاما زوجها أخا وديد قال بهذه المناسبة :

أنا ابن عروج وهذى سواتى   موصل سمان الهجن شن مايجنه
خمسين يوم والنضا مقفيات   مع مثلهن وهن على وجههنه
نمشى النهار وليلنا مانبات   كم ذود مصلاح منيس خذنه
من ظن فينا الطيب شافه ثبات   واللى هقى فينا الردًا ضاعَ ظنه
كم من صبى عشقة للبنات   عقب التعجرف بدل الضحك ونة
استاخذ المذهول عاف الحياة   هو مادرى ان الهجن بيوصلنه
من فوق هجن من فحلهن خوات   غيب الصبايا الخافية يظهرنه

وذكر لها الشيخ منديل أيضا قولها قبل أن يمارس زوجها الغزو :

يافاطرى ياما جرى لك من العنا   مع دربك العيرات نشت لحومها
غدا عنك نواس العدا مرذى النضا   يجرها مع مانبا من حزومها
غدا عنك وارث فى مكانه زلابة   تروعه الظما تليلى نجومها
ياما حويت جل ذود من العدا   اضحى عليها الغزو يفرق سهومها
ويا ما يثور عند عينك من الدخن   معارك تدنى للارواح يومها
عليك مقدم لابة شاع ذكره   حامى تواليها مقدى يمومها

ابن عقيل

(٥) لم ترد رضخ فى لغة العرب بمعنى انقاد . ابن عقيل .

(٦) الحوربة عند أهل نجد بمعنى موال العرضة . ابن عقيل .

(٧) يستقيم الوزن بتشديد الطاء من تمطر . ابن عقيل .

(٨) قافية الشطر الأول بمد الراء هكذا : تجرى ، سرا .. الخ .

هذه هى الرواية الصحيحة . ابن عقيل .

(٩) فى الأصل : وترعى بذر الله ثم ومشعان ؟ ! ابن عقيل .

وذكر الغزاوى ان الأساس ان تعتبر الحالة حربية بين القبائل .

قال ابو عبدالرحمن : يدل على صحة هذا ان حالات الجوار والمعاهدات والأحلاف حالات استثنائية ، وأن مايسمونه برد النقا أو البرا عودة الى الأصل ، وهى الحرب .

ومما يستدرك على الغزاوى ماقننه الاسلام المطهر عن شئون الحرب والسلم .

قال ابو عبدالرحمن : وقائع هذا التقنين فى حالات الجهاد فى سبيل الله وردع الفئة الباغية فقط .

اما الحرب بين المسلمين فلا تقنين لها فى الاسلام الا بشجبها وإنهائها .

وما ذكره من أن البدو لايهاجمون على الوجه نهارا ليس قاعدة ، بل لايكاد يكون غالبا .

والعادة فى الحرب ـ فى عرفهم ـ أن الغارة اما هجادا واما صباحا .

وتغلب الاغارة صباحا فى حالات التحدى ، وفى حالات تحسب القوم بياتا .

وتكون المواجهة والجولات فى المناخات على طول النهار .

ومصطلحات جمع الغزاة التى ذكرها العزاوى منه ماهو معروف فى مصطلح قبائل نجد كالسربة ـ بالباء التحتية الموحدة .

اما اللواء فلا تعرفه قبائل نجد ، وانما يعرفون البيرق وليس هو مصطلحا لعدد معين ،

وانما يكون عند وجود الأخلاط يتبع كل قوم راية زعيمهم وتتبع جميع الرايات علم القائد العام وهو البيرق .

وبعض الجبارين من حملة البيرق يعصب عينيه بعمامة ويخبط الدرب برايته مقدما على الموت حتى لايروعه الدم ولا يزعجه الرصاص .

والركب غزاة على الابل وقد يكونون مردفين وسلاحهم السيف والرمح وقد يكون معهم صاحب البندق .

والجمعة ليست مصطلحا عند قبائل نجد .

وكذلك الراكضة ليست مصطلحا عندهم . الا ان من يسميهم العراقيون راكضة يكونون من اهل المبارزة والجولات فى المناخات ويكونون طلائع للاستكشاف .

والجمع ليس له عدد فى عرف اهل نجد ، وانما يراد به تجمع الفرق والأحلاف فى حرب العدو .

والعقيد انما هو زعيم الغزو والحيافة ، وليست صفة (المنوخ) خاصة به . فالقائد العام فى الحروب والمناخات هو المثور والمنيخ .

والحشر ليس مصطلحا خاصا بالحرب ، بل هو بمعنى الشراكة مطلقا ، وهو عامية قديمة ذكرها الزبيدى فى التاج .

وكل ماذكره العزاوى عن قسمة الغنائم عادة مألوفة ، ولكنها قد تلغى فى بعض المناسبات اذا اتفق القوم قبل الحرب على مصير محدد للغنائم . ومن ثم لا تكون (القلاعة) نصيب الغانم وحده .

قال ابو عبدالرحمن : تناول عادات البدو ومصطلحاتهم على سبيل التقصى الأستاذ روكس بن زائد العزيزى فى كتابه قاموس العادات ، والعزاوى فى كتبه ، وموزل فى كتابه عن الرواة ، وحفل الأردنيون ـ على وجه خاص ـ بالتأليف المستقل فى هذه الجوانب .

ووردت ومضات فى كُتب ابن بليهد وابن خميس وشفيق الكمالى والمارك وغيرهم .

وافردت احد اسفار كتابى (ديوان الشعر العامى) لهذه المباحث ، وانوى ان شاء الله افراد معجم محقق مستوعب لقاموس المصطلحات .

⁂

oooooo

قال رسول الله ﷺ :

من تطهر في بيته ثم خرج إلى المسجد لا ينهزه إلا الصلاة لم يخط خطوة إلا رفعه الله بها درجة وحط بها خطيئة، فإذا دخل المسجد لم يزل في صلاة ما انتظر الصلاة والملائكة تصلي عليه وتقول: «اللهم اغفر له، اللهم ارحمه».

الإمام
الشيخ
محمد
ابن عبد
الوهاب